" ازدواجيةُ المَعَايير"

بقلم: أدما حبيبي

قام شابٌ يبلغ من العمر عشرين عاماً بطعن شقيقته المتزوجة "خولة" البالغة من العمر ٢٥ عاماً عدة طعنات في أنحاء عديدة من جسمها حتى الموت، وذلك في منزلها الزوجي في مدينة مَعان الأردنية. ثم سلّم نفسه إلى الشرطة مدّعياً أنه قام بفعلته دفاعاً عن شرف العائلة.

وأفادت صحيفة جوردن تايمز ***Jordan Times*** *الصادرة باللغة الإنكليزية هناك أن الضحية متزوجة من رجل مسجون وكانت على علاقة مع شقيق زوجها وأنجبت منه طفلا، مضيفةً بذلك أن السلطات قامت باعتقالها فور وضعها للطفل بغيةَ حمايتها. غير أن عائلة الضحية وقّعت وثيقة تعهَّدت فيها عدم إيذاء ابنتها وتزويجها من الرجل قبل شهرين. إلا أن شقيقها الأصغر منها سناً عاد ونفَّذ جريمته انتقاما لشرف العائلة. وبذلك بلغ عدد ضحايا هذه الجرائم في الأردن في العام الماضي* ***اثنتين وعشرين ضحية.***

ليس هذا ما يحصل في الأردن فحسب، فالصحف العربية لا تنفكُّ تطالعنا من حين إلى آخر بقصص حقيقية من هذا النوع جرت وتجري أحداثها على أرض الواقع في عدة بلدان من بلادنا العربية كلبنان وسورية وفلسطين ومصر. ولسانُ حال كل هؤلاء الفعلة بأنهم قتلوا دفاعاً عن الشرف وغسلاً للعار الذي لَحِق بالعائلة. ***وهكذا يمحون العار بعار أكبر منه فيقتلون للتخلص من التي "أمسكت في ذات الفعل"****، ضاربين بالوصية الخامسة من الوصايا العشر عرضَ الحائط . وكأنَّ الله الخالق الذي قال في وصيته السادسة* ***"لا تزنِ"*** *، لم يقل أيضاً* ***"لا تقتل"****.*

وفي كثيرٍ من الأحيان تكون الفتاة ضحيةً لاعتداءٍ حصل لها، أو ضحيةً لإشاعةٍ مُغرِضَة أشاعَها عنها الجيران. لكن تبقى النتيجةُ واحدة. والبنتُ وحدَها تدفع الثمن.

وربَّ قائل يقول هنا في هذا الصدد: ولماذا هذه القصةُ الآن ونحن بعيدون عن موطننا وبلدنا الأم؟ بالطبع صحيح. لكن مهلاً لأنَّ ما سيتبعُ من حديث لابدَّ أن يجيب القارئ عن استفساره هذا. إذ إنَّ ما رأيته من مقابلاتٍ ذاتَ ليلة، أجرتْها الصحفيةُ دايان سوير **Diane Soyer** على شاشة التلفاز الأمريكي، جعلَني أستغربُ من أنَّ ما جرى ويجري في بلادنا العربية ، يحصل هنا أيضاً وفي بيوت العائلات العربية في أميركا. ولقد تعجبتُ أنا نفسي من قصص فتياتٍ ظهرن في المقابلة لكنَّهن متخفيات خوفاً على حياتهن

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

وسلامتهن. والسبب يعود إلى أنَّهن لازلنَ ملاحقات من قِبَل أفراد عائلاتهن. وعلى الرغم من أنَّهن هربن والتجأن إلى هذه البلاد، إلا أنَّهن ما زلنا يُحِسسْنا بالخطر الشديد أينما ذهبنا وكيفما اتجهنا. وبعضُهن لم يرتكب إثماً ولم يجلبْ أيَّ عار على العائلة، بل كل ما عملَه بعضُهن هو أنهن أحببنا شاباً في أيام الجامعة وتزوجنا بالرغم عن إرادة الأهل. وعليه، أباحت العائلةُ دمَهن أيضاً غسلاً للعار. كما قرأتُ أيضاً عن العديد من الحوادث التي جرت في فلوريدا لعائلات مغربية هاجرتْ حديثاً ووقعت في مشاكل من هذا النوع فآلَ المآلُ بالقاتل طبعاً إلى السجن المؤبد. حقا لقد نسي أو تناسى هؤلاء أن القانون هنا يعاقب المجرم على جريمة القتل حتى ولو كان الدافع غسل العار. فالقانون يعاقب المجرم على جريمته هذه كأية جريمة قتل أخرى ، وليس كقانون البلاد العربية الذي عن طريقه يُسجن القاتل لمحو شرف العائلة لمدة أشهر بسيطة فقط ومن ثمَّ يخرج. وعليه فإننَّا نرى العديدين يُقدمون على القتل مستغلين هذه القوانين والأحكام المتراخية.

لكنْ لنعد الآن معاً إلى القصة من أولها يا قارئي لندرك ما جاء في تعليم الله المقدس منذ أيام الوصايا والشرائع، أي مذ أعطى الله نبيه موسى الوصايا والشرائع. فقال في وصيته السادسة : لا تزنِ. وبالطبع فلقد حكم الله على كل مخالف لهذه الوصية بالموت. لكنَّ الله عادل في حكمه، إذ لم يُصدرِ الحكمَ على التي ارتكبتِ الفعلَ القبيحَ فحسبْ بل على الذي ارتكبه معها أيضاً. فيقول في سفر التثنية مثلاً هذه الكلمات المقدسة:" إذا وُجد رجل مضطجعاً مع امرأةٍ زوجةِ بعل يُقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة. فتنزِع الشر من إسرائيل." **(تثنية ٢٢: ٢٢)**

أجل، فأحكام الله كلها عدل وحق. ولا ينفِّذ اللهُ حكمه على الزانيةِ فقط بل على الزاني أيضاً. ألم يرتكبْ كلاهما هذه الخطية الشنيعة؟ فلماذا نحكم نحن فقط على المرأة ونترك الرجل حراً طليقاً وكـــأنه لم يقترف ذنباً؟ ثم كيف تجرأ الإنسان منا يا ترى ، وبأية صفة أقدم على تغيير أحكام وشرائع الله الحقة هكذا و كيفما أراد؟ لكن، أليس هذا بالضبط أيضاً، ما فعله الكتبة والفريسيون الذين قدّموا إلى المسيح امرأة أُمسكت في زنا؟ لم يأتوا بالرجل كما تقول الشريعة في القديم، على الرغم من أنهم أنفسهم حافظو الشريعة بحذافيرها ومعلموها. "**؟قالوا له يا معلم هذه المرأة أُمسكت وهي تزني في ذات الفعل. وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم . فماذا تقول أنت؟**" أجل إنهم يعرفون ماذا علّمهم نبي الله موسى في هذا الصدد، ولكنهم تجاهلوا تماماً أن الحكمَ واجب على الاثنين معاً. " **أما يسوع فانتصب واقفا وقال لهم: من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر.... أما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحدا فواحدا مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين.وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط. فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة، قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك ؟ أما دانك أحد؟ فقالت لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع: ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضا.**"

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

أجل فاه يسوع المسيح المخلص الذي جاء إلى عالم الإنسان العاصي والشرير والخاطئ، فاه بكلمات المحبة والرحمة والغفران وقال للمرأة ولا أنا أدينك اذهبي ولا تخطئي أيضاً. يسوع المسيح الذي وحده له السلطان لكي يدين، لم يدنِ المرأة بل أطلقها حرة ومغفورة الخطايا. بالحق ما أبعدنا عن أحكام الله العادلة والحقة والمليئة بالرحمة والغفران. فترانا ننظر أحيانا بعين واحدة، وأحياناً أخرى، نتبع نظاماً مزدوجاً ، تماماً كالذي تتبعه بعض السياسات العالمية، في إصدار أحكامنا الجائرة على الآخرين. فنحكم على فلانة ونطلق فلانا حراً طليقا ، بينما كلاهما واقعان في نفس الخطية وينبغي تطبيق القانون عليهما دون تمييز أو تفريق. نعم، لَكَم غيَّرت الأعراف والتقاليد أفكارنا وطرقَ عيشنا، حتى إنَّ تعليم الله في كتابه المقدس الثمين بات مشوهاً ومتغيراً.

لماذا هذه الازدواجية في المعايير **Double Standard** يا ترى؟ وأين كلمات الرحمة التي ينبغي علينا أن نفوه بها ؟ ليس بالضروري في واقعةٍ أثيمةٍ كهذه التي تكلمنا عنها اليوم، لكن أين كلمات الرحمة نفوه بها في كل وقائع حياتنا العملية؟ علاقاتنا ، أعمالنا، بيوتنا، وخاصة تربيتنا لأولادنا وبناتنا من دون فرق وتمييز؟ وهنا علينا الحذر لأن الكثير من الأهلين لايزالون يعاملون الصبي بطريقة مختلفة عن البنت حتى في بيوت المؤمنين وهنا في أميركا. فلقد رأيت أموراً تحدث أمام ناظري وشاهدت كيف يميّز الأب ابنه عن ابنته، لا بل يمنح ابنه السلطة الفوقية على ابنته. فما أحرانا أن نعود إلى كلمة الله المقدسة الجليلة والحكيمة والعادلة لنستشف منها كلمات الحكمة والمعرفة التي تنبّه الآباء في كيفية تربية أولادهم في خوف الرب وإنذاره . ولم تميّز قطُّ الكلمة المقدسة ولا التعليمُ الإلهي بين ولدٍ وبنت بل جاءت الكلمة واضحة تطبَّق على شقي الخليقة سواء. فهل **فكرت قارئي بازدواجية المعايير التي يمكن أن نغوصَ فيها إن لم نكن حذرين ومتنبِّهين؟ !!!**

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service